تداعيات الأزمة الأوكـــرانية على العلاقات الروسية ـ الأوكرانية ٢٠١٤ـ٢٠١٦

أ.م.د. ناديه ضياء شكاره*

جامعة النهرين/ كلية العلوم السياسية

أستلام البحث : ٢٠١٧/١/٢٥ قبول النشر : ٢٠١٧/٧/٣١

الخلاصة

يسلط البحث الضوء على اهمية اوكرانيا السياسية والأقتصادية لروسيا، فهي البوابة الرئيسة لصادرات الغاز الروسي إلى أوروبا، وهي الأقرب لروسيا من بين جميع جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابقة، فهي ترتبط معها بصلات الدين والثقافة والتاريخ الواحد، بالإضافة إلى ما تركته سنوات العهد السوفيتي من علاقات سياسية اقتصادية تكاملية تقليدية بين وحدات الاقتصاد الحقيقي في البلدين، حيث كانت اوكرانيا تسمى تاريخياً " سلة الخبز" للأتحاد السوفيتي السابق، فضلا عن كونها تمثل الحصن الاستراتيجي الأخير الذي يعزل روسيا عن الغرب وحلفائه.، ومن هنا تبدو الثورة البرتقالية التي قامت بها المعارضة الأوكرانية بدعم من الغرب، نقطة تحوّل خطيرة في العلاقات الأقتصادية الروسية_ الأوكرانية، إذ ادت الى الأطاحة بالرئيس يانكوفيتش الموالي لروسيا، وأصدار قانون بالإفراج عن يوليا تايموشنكو زعيمة المعارضة الأوكرانية إيذانًا بخروج البلاد من الفلك الروسي والدخول في الفلك الأوروبي.. الأمر الذي يهدد الأقتصاد الأوكراني بالأنهيار، بدليل احتلاله المرتبة الخامسة ضمن اسوأ الأقتصادات في العالم خلال ٢٠١٥ بحسب تصنيف صندوق النقد الدولي.

المقدمة

إن ما تشهده أوكرانيا من ازمة داخلية اليوم، قد يعصف بوجود الدولة ذاتها التي تحتل أكثر من نصف مساحة البوابة الشرقية المؤدية إلى أوروبا، حيث تشير تطورات الاحداث الى ان انتفاضة المعارضة الأوكرانية التي سميت بالثورة البرتقالية المدعومة من الغرب ليست وليدة لحظتها، وإنما جرى التخطيط لها منذ حقبة ليست بالقصيرة، ويظهر سياق تفاعلاتها انها اكبر بكثير من احتجاجات وطنية، بل انها ترتبط الى حد كبير بالعلاقات القارية المتشابكة بين أوربا وروسيا والتدخلات

الامريكية من جهة، وتضارب مصالحها من جهة ثانية، مما يشكل تهديداً خطيرا للعلاقات الأقتصادية الروسية_ الأوكرانية بشكل خاص، وينذر بأنهيارها مستقبلا.

تطل أوكرانيا على البحر الأسود بعدد من الموانئ أهمها أوديسا التي يوجد بها ميناء معد لتصدير النفط بالناقلات إلى موانئ البحر المتوسط عبر المضايق التركية... وتعد البوابة الرئيسة لصادرات الغاز الروسي إلى أوروبا، حيث تحدها روسيا من الشرق، وتحدها من الشمال روسيا البيضاء ومن الغرب مجموعة من دول شرق أوروبا التي انضم أغلبها إلى الاتحاد الأوروبي، وهى من الشمال إلى الجنوب بولندا وسلوفاكيا والمجر ورومانيا(١).

يكتسب هذا البحث اهميته من خلال محاولته دراسة وتحليل الأزمة الأوكرانية وانعكاس تأثيرها على العلاقات الروسية- الأوكرانية السياسية والأقتصادية للفترة الممتدة ما بين ٢٠١٤-٢٠١٦م.. لأثبات فرضية مفادها: (ان العلاقات السياسية والأقتصادية الروسية_ الأوكرانية تتأثر بطبيعة المتغيرات الدولية، وتعتمد بشكل كبير على كيفية معالجة المشكلات والتحديات التي تواجهها)... لا سيما أن"الأزمة الأوكرانية" باتت تمثل اهتمامًا كبيرًا للباحثين والأكاديميين وصانعي القرار من منطلق أنها جزء لا يتجزأ من الصراع الدولي، وذلك من خلال المحاور التالية:

المحور الأول _ اوكرانيا.. الحصن الأمني الروسي

المبحث الأول – اهمية اوكرانيا الإستراتيجية

يعتبر الموقع الجغرافي الإستراتيجي الأوكراني سلاح ذو حدين، حيث أنها حلقة الوصل بين قوتين عظيمتين هما القوة الشرقية "روسيا" والغربية "الاتحاد الأوروبي" الذي يعد بمثابة الحليف للولايات المتحدة الأمريكية.

دولة أوكرانيا دولة ذات أهمية إستراتيجية وأهم ما يميزها التربة الزراعية السوداء والموقع الجغرافي المتميز، مما ادى الى تحولها الى منطقة صراع من قبل القوى الاستعمارية من أجل السيطرة عليها، فضلا عن كونها دولة صناعية ومصدرة للمعدات والتكنولوجيا المدنية والعسكرية، إذ تتمتع اوكرانيا بقدرات صناعية هائلة، وتعد الصناعة عماد الاقتصاد الاوكراني والمورد الاول للدخل القومي (٢)، كما تمتلك اوكرانيا احتياطي ضخم من الموارد الطبيعية والفلزات والمعادن مثل الفحم وخام الحديد والغاز والحجر والرمل والملح والقوى العاملة الماهرة والإنتاجية، فضلا عن أمتلاكها (٤٠%) من خام المنغنيز في العالم وأكبر إحتياطي من الأوزوكريت (الشمع المعدني) والكبريت في العالم وأكبر مخزون من الجرافيت في القارة الأوروبية(٣).

يبلغ تعدادها السكاني نحو ٤٦ مليون نسمة، وفقاً لمؤشرات العام ٢٠١٤، اذ ينحدر أكثر من ٤٠% من السكان من أصول روسية، وهي تعد دولة شقيقة لروسيا بالمعيارين العرقي والمذهبي، وقد ظلت على مدى قرون ركناً أساسياً في القوة السلافية الأرثوذوكسية، وكانت مندمجة في روسيا منذ القرن السابع عشر للميلاد (٤).. ولدى أوكرانيا حدود طولها ٤٥٦٦ كيلو متراً، اطولها مع روسيا، بواقع ١٥٧٦ كيلو متراً، كما تمتد سواحلها على طول ٢٧٨٢ كيلو متراً، وتقع هذه السواحل على البحر الأسود وبحر آزوف.

المبحث الثاني – أوكرانيا بوابة النفوذ الروسي

تعد أوكرانيا الثانية من حيث الأهمية الاقتصادية بعد روسيا في دول الاتحاد السوفييتي السابق حيث شكل الناتج القومي لها أربعة أضعاف ما تنتجه الجمهوريات السوفييتية المستقلة، وكانت التربة الأوكرانية الخصبة تقدم للاتحاد السوفييتي سلة غذائية تمثل ربع منتجاته الزراعية من قمح وخضروات ولحوم وألبان، فضلا عن كونها أحد أهم مصادر الحديد الصلب والفحم والآلات الصناعية في دول الاتحاد السوفييتي [٥].

كما تعد اوكرانيا الحصن الاستراتيجي الأخير الذي يعزل روسيا عن الغرب وحلفائه، وطريق امداد الغاز الروسي الى اوربا، اذ يمر فيها ما يعادل نحو نصف صادرات الغاز الروسي الى أوربا، وهو ما يدعم الاقتصاد الروسي ويقصر المسافات وتكاليف النقل. وكانت أوكرانيا في ظل وجودها كوحدة في كيان الاتحاد السوفييتي تحصل على احتياجاتها من الغاز الروسي بأسعار مخفضة، بل كان

جل مدفوعاتها تتم مقايضته بعائداتها نظير مرور الغاز الروسي المصدر للدول الأوروبية عبر الأنابيب الممتدة داخل الأراضي الأوكرانية.. لذا ظلت تتمتع بالمعاملة المتميزة بعد توقيع اتفاقية في أيلول ٢٠٠٣ لإنشاء منطقة تجارة حرة تحت مسمى المنطقة الاقتصادية الواحدة (Single Economic Area) التي تضمها مع روسيا وروسيا البيضاء وكازخستان (٦) .

تعد الموانئ في اوديسا وسباستبول ركيزة في دعم خط التجارة الروسي، فضلاً عن وجود الأسطول العسكري الروسي في البحر الاسود والعبور منه الى المياه الاقليمية الدافئة.. وخير دليل على ذلك انه عندما تفجّرت الأزمة الحالية في أوكرانيا بسبب إعتراض القسم الكاثوليكي من أوكرانيا على عدم توقيع معاهدة التقارب مع أوروبا، وهروب الرئيس الأوكراني الأسبق (فيكتور يانوكوفيتش)* بعد تفاقم الأوضاع الأمنية وسيطرة الموالين للسياسة الغربية على معظم القسم الغربي من أوكرانيا بما فيها العاصمة (كروزني)، تدخلت الماكينة العسكرية الروسية لمواجهة الأزمة ومحاولة احتوائها.

المحور الثاني ـ جذور الأزمة الأوكرانية

المبحث الأول ـ مدخل تاريخي الى العلاقات الروسية ـــ الأوكرانية

اسم أوكرانيا يعني باللغة الأوكرانية "أرض الوطن"، ولكنه بالروسية يعني "أرض الحدود"، ويبدو أن الاسم بقي يحمل هاتين الدلالتين حتى يومنا هذا، تبدو أوكرانيا منقسمة جغرافياً على نفسها منذ قرون على طول نهر "دنيبر" (بالأوكرانية دنيبرو)، فيتجه نصفها الغربي إلى أوروبا ونصفها الشرقي إلى روسيا، وما تزال تشعر بأنها مكونة من دولتين مختلفتين، إذ يندر عبور السكان من غربها الكاثوليكي الزراعي إلى شرقها الأرثوذكسي الصناعي.. كما تعد اوكرانيا جزءا استراتيجيا مهما من المجال الحيوي الروسي، فالروس يعتبرون مدينة كييف الأوكرانية "أمَّ المدن الروسية" ومركزا للحضارة الأرثوذكسية الشرقية، فضلا عن وجود جذور حضارية وتاريخية واقتصادية وثقافية وعرقية ودينية عميقة تربط بين الشعبين (٧).

وقد انعزلت مناطق اوكرانيا الحالية عن بقية مناطق روسيا خلال فترة طويلة منذ الاحتلال المغولي و"الفترة المظلمة" حين استمرت الفتن والحروب الاهلية في روسيا، وادى هذا الانعزال الى حدوث تغيرات في العادات واللهجات وحتى المعتقدات الدينية بين الشرق والغرب، بالاخص بعد ان تعرضت اراضي غرب اوكرانيا وبيلوروسيا الى الاحتلال الليتواني في فترة ١٣١٦ – ١٣٤١ ومن ثم البولندي في فترة ١٣٤٤ – ١٣٤٥ .

اولا – اوكرانيا والأحتلال البولندي

ادت قسوة النظام الاقطاعي البولندي الى قيام الفلاحين الاوكرانيين بثورات منها ثورة بقيادة الزعيم القوزاقي بوغدان خميلنيتسكي الذي حظي بدعم الامير اسلام الثالث التتاري في القرم، حيث افلح خميلنيتسكي في احتلال كييف في عام ١٦٤٨ وعقد اتفاقية صلح مع الملك البولندي يان الثاني كازيمير (٨).. لكن ملك بولندا خرق الاتفاقية في عام ١٦٥١، فاحتل كييف مجددا وضمها الى مملكته، فطلب الاوكرانيون مساعدة الامراء الروس، مما ادى الى نشوب الحرب البولندية – الروسية، التي دامت اكثر من عشر سنوات وانتهت بصلح اندرواس في عام ١٦٦٧ الذي نص على ضم الاراضي الاوكرانية شرق نهر الدنبير الى روسيا، وضم الاراضي غرب الدنيبر الى بولندا. وثبت الاتفاق مجددا في عام ١٦٨٦ في عهد القيصر الكسي ميخايلوفيتش والد بطرس الاكبر (٨).

هنا بدأت محنة الشعب الاوكراني المقسم بين سلطة روسيا الارثوذوكسية وبولندا الكاثوليكية. فقد امر القيصر الروسي باتلاف جميع الكتب الكنسية باللغة البولندية في شرق اوكرانيا واستبدالها بكتب بطريركية موسكو. وفي فترة السيطرة البولندية فرضت اللغة البولندية وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية على الاوكرانيين.. وبمرور الاعوام، اصبح اهالي اوكرانيا غرب الدنيبر يتحدثون بلغة نصفها من التعابير البولندية، وكذا كان الحال في شرق الدنيبر حيث اندمج الاوكرانيون بالروس وانتشرت الزيجات المختلطة بينهم وتمسكوا بالارثوذكسية.

لكن بولندا فقدت جنوب اوكرانيا وكييف في الحرب البولندية– العثمانية في ١٦٧٢ – ١٦٧٦ حين سيطر الاتراك على جنوب اوكرانيا ، وتدخلت روسيا وعقدت معاهدة مع السلطان العثماني في "بقجة سراي"، تم بموجبها وضع القرم وزاروبوجيه تحت السيطرة العثمانية، بينما اصبحت كييف تحت سيطرة السلطة القيصرية الروسية (٩).

خلال هذه الفترة تنامت النزعة القومية لدى الاوكرانيين الذين استغلوا نشوب الحرب الروسية – السويدية ١٧٠٠ – ١٧٢١، وقاموا بقيادة مازيبا بالانضمام الى الجيش السويدي.. لكن السويديين هزموا في معركة بولتافا بقيادة بطرس الاكبر فهرب مازيبا الى اسطنبول مع رهط من جماعته.

وهكذا فشلت محاولة تأسيس دولة اوكرانية، وبقيت مناطق شرق وجنوب اوكرانيا تحت السيطرة القيصرية حتى نشوب الحرب العالمية الاولى اي من ١٦٧٤ – ١٩١٧.. علما ان القرم ضُمت الى روسيا في عام ١٧٧٤ .

خلال هذه الفترة عمدت السلطة القيصرية الى "ترويس" هذه المناطق وشيدت مدن اوديسا وخيرسون ونقولايف وسيفاستوبول وماريوبل، واصبحت هذه المدن ذات طابع روسي تام. اما المناطق الغربية ولا سيما غاليسيا ولفوف فقد اصبحت تحت سيطرة النمسا وبروسيا (١٠).

وقد شجعت السلطات النمساوية على نمو الحركة القومية الاوكرانية لمواجهة تنامي الحركة السلافية التي بدأت هناك على اساس وحدة الشعوب السلافية (الاوكراني و البيلاروسي والروسي) . وقمعت السلطات النمساوية الحركة السلافية بقسوة وادخلت ٢٠ ألف اوكراني في السجون، واغلقت المنظمات والجمعيات التابعة للحركة السلافية (١١). وشارك في القمع القوميون الاوكرانيون الذين انضموا الى اجهزة الامن والجيش كما حاربوا الجيش الروسي في الحرب العالمية الاولى.

ثانيا – اوكرانيا والثورة الروسية

اتيحت الفرصة لاوكرانيا لتحقيق الاستقلال بعد قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية في عام ١٩١٧، والتي اعلنت حق تقرير المصير للشعوب. وتشكلت جمهورية شعبية انضمت الى الاتحاد السوفيتي بعد تشكيله واصبح لها مقعد في هيئة الامم المتحدة.

لكن اوكرانيا الغربية بقيت ضمن بولندا التي احتلها الالمان عقب انهيار الامبراطورية النمساوية – المجرية في عام ١٩١٨. وقد رحب القوميون الاوكرانيون بالقوات الالمانية آنذاك واسسوا دولة " اوكرانسكا ديرجافا" تحت سيطرة الالمان مع شئ من الحكم الذاتي، واعقب ذلك قيام الثورة الاشتراكية في المانيا واندلاع ثورة في غرب اوكرانيا بقيادة بتلورا (١٢).. لكن في عام ١٩١٩ قامت بولندا بعد استعادة استقلالها بضم اراضي اوكرانيا الغربية اليها بدعم من رومانيا وتشيكوسلوفاكيا، كما هاجمت الجيش الاحمر في اوكرانيا الشرقية. وفي عام ١٩٢١ ضمت اوكرانيا الغربية الى بولندا بموجب معاهدة ريجا في عام ١٩٢٠.

عندما انتهت الحرب بانهيار روسيا والنمسا ثم اعقبتها الثورة البولشيفية في روسيا عام ١٩١٧م برزت الحركة الوطنية الاوكرانية من اجل تقرير المصير من جديد، فبرزت عدة دويلات اوكرانية، لكن ابرزها كان قد اصبح لاحقا عضوا مؤسسا في الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية او الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٢ .. فكان ان شجعت موسكو الادب والفنون تحت رعاية سياسة الاكرنة التي انتهجتها القيادة الشيوعية، ثم حافظت الحكومة السوفيتية على بعض المرونة خلال العشرينات بسبب الدمار الذي حل بالمجتمع الاوكراني.

وهكذا تمتعت الثقافة واللغة الاوكرانيتان بالانتعاش، كما تعهد الروس الشيوعيون بتقديم نظام رعاية صحية ونظام ضمان اجتماعي اضافة الى الاهتمام بالتعليم، فضلا عن الحق في العمل والسكن، فقد عمدت السلطة السوفيتية في البداية الى حماية الثقافة القومية للآوكرانيين، وسمحت

بافتتاح المدارس لهم حيث الدراسة باللغة الاوكرانية. لكن في فترة القمع الستاليني بدأت من جديد حملة " روسنة " شرق اوكرانيا وحاربت النزعة القومية بتهمة " الشوفينية".. ورد القوميون الاوكرانيون على ذلك بحملة ارهابية واسعة من اغتيالات وتفجيرات، وحدث الشئ ذاته في القسم الغربي حيث حظرت السلطات البولندية تعليم اللغة الاوكرانية في المدارس وقام الاوكرانيون بحملة ارهابية ضد البولنديين [١٣]. وقد ادانت عصبة الامم آنذاك افعال الحكومة البولندية حيال الاوكرانيين وطالبت بمنح الاوكرانيين حقوقهم القومية.

ثالثا – اوكرانيا والحرب العالمية الثانية

عام ١٩٣٩م وقعت الحرب العالمية الثانية وغزت الجيوش الالمانية الاتحاد السوفيتي، وقد دعيت مدينة كييف بمدينة الابطال، نظرا للمقاومة الشرسة التي ابداها الجيش الاحمر الروسي فيها، الذي يتكون من القوقاز والروس والأوكرانيين الشرقيين والشيشان والشركس وكل مكونات الشعب البسطاء من الفلاحين والعمال. وقد قتل واسر منهم اكثر من ستمائة الف مقاتل [١٤].

في فترة الحرب العالمية الثانية استولت القوات الالمانية على جميع اوكرانيا، وانضم القوميون في القسم الغربي الى القوات الالمانية في محاربة الجيش الاحمر وقمع الاهالي الموالين للسلطة السوفيتية.. لكن السلطات النازية رفضت طلب الاوكرانيين بتأسيس دولة خاصة لهم وزجت بزعيمهم ستيبان باندير في السجن [١٥].. وبعد هزيمة النازيين في الحرب العالمية الثانية اصبحت اوكرانيا كلها بعد تحريرها في عام ١٩٤٤ ضمن الاتحاد السوفيتي.

عندما انجلى غبار الحرب العالمية الثانية كان الدمار قد عم جمهورية اوكرانيا الاشتراكية السوفيتية، حيث دمرت ٧٠٠ مدينة وبلدة واكثر من ثمانية وعشرين الف قرية، وتدهورت الاوضاع بسبب المجاعة من جديد نتيجة الجفاف وانهيار البنية التحتية، وفقدت ما يزيد على خمسة ملايين شخص من ابنائها.. الأمر الذي اهلها الى احتلال مكانة متميزة في الأتحاد السوفيتي، حيث مارست تأثيرا كبيرا في السياسة السوفيتية، استمر حتى انهيار الأتحاد السوفيتي. وكان الكثير من قادتها مثل خروشوف وبودغورني وبريجنيف على رأس الدولة السوفيتية خلال فترة طويلة، وعلماء كبار مثل سرغيه موروليوف عالم الفضاء السوفييتي.

قبل انهيار الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينات من القرن العشرين، اعتمد البرلمان الاوكراني اعلان سيادة دولة اوكرانيا في ١٦ تموز ١٩٩٠، وأسس الإعلان مبدأ تقرير المصير للأمة الأوكرانية، والديمقراطية والاستقلال السياسي والاقتصادي، وأولوية القانون الأوكراني على القانون السوفيتي على الأراضي الأوكرانية.. ومن ثم أيد أكثر من ٩٠% من الشعب الأوكراني اعلان الاستقلال، وانتخبوا رئيس البرلمان " ليونيد كرافتشوك" ليكون أول رئيس للبلاد (١٦).

المبحث الثاني – اوكرانيا والثورة البرتقالية

واجهت اوكرانيا منذ اعلان الاستقلال المشاكل الداخلية نتيجة تصادم اتجاهات اهالي الاقاليم الشرقية والغربية. فالاوكرانيون في الغرب يميلون الى الاتحاد الاوروبي ويريدون الانضمام اليه والى حلف الناتو بأسرع وقت، ويلقون التشجيع القوي من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي.. في الوقت الذي يميل اهالي الأقاليم الشرقية والجنوبية الى الأتحاد مع روسيا.

اولا – كوتشما ونظام الحكم الجديد (١٩٩٤– ٢٠٠٤)

تولى ليونيد كوتشما رئاسة جمهورية اوكرانيا في ١٩ يوليو ١٩٩٤ ، بعد فوزه بالأنتخابات الرئاسية.. وقد سبق له ان تولى منصب رئاسة الوزراء للفترة من (١٩٩٢–١٩٩٣).

ورغم اعتماده دستور جديد للبلاد الذي حول طبيعة نظام الحكم في جمهورية اوكرانيا الى نظام نصف رئاسي الذي ادى الى انشاء نظام سياسي مستقر، وما حققه من انجازات على طريق التحول إلى اقتصاد السوق ودعم الاستقرار واقرار العملة الوطنية وانتهاج سياسة نقدية متوازنة.. فقد وجهت اليه الأتهامات بالفساد من قبل المعارضة المدعومة من الغرب، والأدعاء بتزويره الانتخابات، وعدم تشجيع حرية التعبير بسبب احتكاره السلطة التي استمر فيها الى ٢٣ كانون الثاني عام ٢٠٠٥م (١٧).

ثانيا – يوشينكو والثورة البرتقالية الأولى (٢٠٠٥– ٢٠١٠)

في عام ١٩٩٩ اختير الخبير الأقتصادي فكتور يوشينكو رئيسا لوزراء أوكرانيا في عهد الرئيس الأوكراني الثاني كوتشما الذي سرعان ما أقاله من منصبه في نيسان ٢٠٠١ تحت ضغط ممثلي اليسار المؤيدين لروسيا (١٨).

على اثر ذلك اعلن يوشينكو في تموز ٢٠٠١ م عن تأسيس حركته السياسية «أوكرانيا وطننا» التي ضمت بين صفوفها عددا من ممثلي الاحزاب اليمينية، وكذلك أنصار حركة «روخ» ذات التوجهات القومية. كان شعارها المناداة بالانفصال عن الاتحاد السوفيتي والأنضمام الى الأتحاد الأوربي.. وكانت تحظى بدعم امريكي اوربي.

كانت نتائج الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٤م تشير الى حصول تجمع «اوكرانيا وطننا» على نسبة ٥٨% ، الأمر الذي يعني ترشح يوشينكو لمنصب رئيس الدولة منقلبا على حليفه السابق ليونيد كوتشما الذي اختار فيكتور يانوكوفيتش رئيس حكومته منافسا له(١٩).

ولكن وقعت حادثة غريبة ليوشينكو خلال الأجواء الانتخابية، حيث تعرض لعملية تسميم تركت على وجهه آثارا واضحة، واختلفت الآراء بشأن الجهة التي تقف خلف ذلك. وقد اتهم

يوشينكو خصومه السياسيين بتسميمه (٢٠)، وقال إنه أحس بأعراض مرضية عقب تناوله العشاء مع رئيس جهاز الأمن الأوكراني وقتئذ... مما زاد من شعبيته لتعاطف الناخبين معه.

في غضون ذلك، تنامت الأنباء عن تزوير شاب الانتخابات الرئاسية لفائدة يانوكوفيتش، وذلك ما عجل باندلاع احتجاجات شعبية واسعة عرفت باسم "الثورة البرتقالية"، بسبب إرتداء مؤيدو(يوشينكو) لملابس برتقالية بلون علم حزبه، حيث حمل مئات الآلاف اللافتات والأوشحة ذات اللون البرتقالي المؤيدة له (٢١)، فقد رأى فيه الأوكرانيون نافذة نحو الخلاص الاقتصادي، خاصة وأنه قد حقق خلال سنة واحدة –عندما كان رئيسا للحكومة– فائضا في الميزانية التي كانت تعاني من عجز مستمر.

خلال تلك المدة كانت المناورات السياسية تدور على اشدها ليس فقط في الأوساط السياسية والقضائية الأوكرانية، بل تخطتها إلى ساحة السياسة العالمية، فالمرشحان يتمتعان بدعم القوتان الأكبر في العالم أمريكا وروسيا. . يانوكوفيتش هو المرشح المفضل لروسيا، وهو يعارض التقارب الشديد مع أمريكا والغرب بينما تدعم أمريكا بقوة يوشينكو ذا الميول الغربية، والذي يدعو لإنضمام بلاده للاتحاد الأوربي وحلف الناتو.. كما هددت هذه الأزمة وحدة أوكرانيا حيث يتمتع يانكوفيتش بتأييد القسم الشرقي من البلاد ذي الأغلبية والميول الروسية بينما يحظى يوشينكو بدعم القسم الغربي ذي الإصل البولندي والميول الغربية.

استمرت "الثورة البرتقالية" عبر مظاهرات واعتصامات وإضرابات لا تكاد تنتهي، حتى نجحت المعارضة بزعامة يوشينكو في الدفع باتجاه إلغاء نتائج الانتخابات، حيث أمرت المحكمة بإقامة دورة حاسمة في ٢٦ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤، حضرتها مؤسسات رقابية دولية، حقق فيها يوشينكو فوزا مهما، فأصبح الرئيس الثالث لأوكرانيا يوم ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٥، مما ادى الى حدوث ازمة بين روسيا واوكرانيا استمرت تتصاعد حتى عام ٢٠١٠م، ومن ثم هدأت وتلاشت بوصول الرئيس فيكتور يانوكوفيتش وحلفائه الموالين لروسيا الى سدة الحكم (٢٢).

بدأت الأزمة بإمتناع أوكرانيا عن دفع سبعة مليارات دولار المتفق دفعها في ٧ تشرين الأول من كل عام بموجب الإتفاق بين شركة نافتوغاز الأوكرانية وغازبروم الروسية، وذلك بسبب تغير الولاء السياسي لحكومة اوكرانيا الجديدة، مما ادى الى حدوث مقاطعة اقتصادية وحرب كلامية بين الطرفين.

الجدير بالذكر انه عقد اجتماع في ساحة الاستقلال، حضره نحو مليون مناصر ليوشينكو عام ٢٠٠٥م، قدم خلاله ما وصف بأنه "الوعد المستحيل" حين تعهد بتحقيق عشرة أهداف، بينها توفير

خمسة ملايين فرصة عمل، وزيادة الرواتب والمعاشات، وخفض الضرائب، وشن حرب على الفساد، والحد من الفجوة بين الأثرياء والفقراء، وإيقاف الانكماش الديمغرافي.

دفع فشل يوتشينكو في تحقيق التوازن بين فروع السلطة إلى قبوله مضطرا عام ٢٠٠٧ إجراء تعديلات دستورية نقل بموجبها بعض صلاحيات الرئيس للبرلمان، خاصة ما يتعلق منها بتشكيل الحكومة، فأصبحت أوكرانيا دولة برلمانية رئاسية أنتجت أرضية لمواجهات مستمرة بين الرئيس والبرلمان والحكومة (٢٣).. وبعد مرور خمس سنوات على حكمه، اكتشف الأوكرانيون أن الثورة لم تحقق أهدافها، حيث استمرت سطوة الفساد، فقد أعلنت منظمة الشفافية الدولية عام ٢٠٠٩ احتلال أوكرانيا للمرتبة ١٤٦ من بين ١٨٠ دولة، بدرجة ٢,٢ وهي الدرجة نفسها التي حصلت عليها عام ٢٠٠٤، قبل اندلاع الثورة. كما استمرت الأزمات الاقتصادية وتعمقت مشكلة البطالة، وارتفعت نسبة السكان الذي يعيشون تحت خط الفقر إلى ٣٧% (٢٤).

انتهت ولاية يوشينكو، وعاد فيكتور يانوكوفيتش إلى الواجهة من جديد بعدما فاز بانتخابات كانون الثاني ٢٠١٠، على حساب منافسته يوليا تيموشينكو، إحدى رموز الثورة البرتقالية.

ثالثا – يانوكوفيتش والثورة البرتقالية الثانية (٢٠١٠– ٢٠١٤)

تولى فيكتور يانوكوفيتش رئاسة وزراء أوكرانيا مرتين في عهد الرئيس ليونيد كوتشما، الأولى من ٢٠٠٢ – ٢٠٠٤، والمرة الثانية من ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ م. فاز بانتخابات الرئاسة الأوكرانية في كانون الثاني ٢٠١٠، على حساب منافسته يوليا تيموشينكو رئيسة الوزراء السابقة وإحدى رموز الثورة البرتقالية (٢٥).

حاول يانوكوفيتش الموازنة بين الشرق والغرب، واراد القيام باصلاحات اقتصادية، لكنه لم يستطع معالجة تفشي ظاهرة الفساد بالدولة، وتدهور الوضع المعيشي للسكان، ووجد امامه خزانة فارغة، فطلب المساعدة المالية من الغرب، ووعد بالانضمام الى الاتحاد الاوروبي وتشكيل سوق حرة معه بتوقيع اتفاقية الانتساب الى الاتحاد.. لكن الغرب فرض عليه شروطا كثيرة منها اطلاق سراح رئيسة الوزراء السابقة يوليا تيموشينكو التي حكم عليها بالسجن بتهمة الفساد، وتعديل القوانين التي تمنع الدعاية للشذوذ الجنسي، وفتح الاسواق الاوكرانية امام السلع الغربية، والاهم من كل هذا وذاك الابتعاد عن روسيا.

كما عارض اصحاب المصانع في اوكرانيا ذلك بشدة، وهم من اعضاء حزب الرئيس يانوكوفيتش " حزب الاقاليم"، لأن معنى ذلك اغلاق مصانعهم وتفشي البطالة، وما ينجم عن ذلك من مشاكل اجتماعية.. مما دفع بالرئيس الاوكراني يانوكوفيتش الى طلب قروض من صندوق الدولي الذي فرض عليه شروطا اخرى، مما اضطره الى التوجه الى روسيا التي وافقت على منحه قرضا

بمبلغ ١٥ مليار دولار، وعلى تخفيض ثمن الغاز المصدر الى اوكرانيا، من اجل مساعدة اوكرانيا في تجاوز الازمة الاقتصادية الخانقة (٢٦).

ادت موافقة يانوكوفيتش على الأنضمام الى الاتحاد الكمركي الروسي الى ردود فعل عنيفة من قبل المعارضة من أنصار التوجه الأوربي، فهاجم آلاف المحتجين مقر الحزب الحاكم (حزب الأقاليم) واحتلوا البرلمان.. الأمر الذي ادى الى اقصاء يانوكوفيتش من قبل البرلمان الأوكراني في ٢٢ شباط ٢٠١٤م بعد هروبه ولجوئه الى روسيا، وهو ما سمي بالثورة البرتقالية الثانية، لتبدأ أوكرانيا صفحة جديدة وعصيبة من تاريخها، خسرت خلالها القرم التي ضمّتها روسيا، ولم تعد في الواقع تسيطر على أراضي منطقة دونباس (دونيتسك ولوغانسك) الواقعة شرق البلاد، والموالية للروس، حيث أسفر النزاع المسلح الذي بدأ هناك في نيسان ٢٠١٤، عن سقوط أكثر من تسعة آلاف قتيل، بحسب بيانات الأمم المتحدة.

المحور الثالث– الموقف الدولي من الأزمة الأوكرانية

المبحث الأول: التدخل الروسي في الأزمة الأوكرانية

هنالك عوامل عديدة لعبت دورا مؤثرا في التدخل الروسي المباشر في اوكرانيا اهمها ما يلي:

اولا– الأسباب السياسية

بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ أعلنت أوكرانيا وغيرها من الجمهوريات المكونة له استقلالها، وشرع أول رئيس لها ليونيد كرافتشوك على تأكيد هوية أوكرانيا الأوروبية وتميزها الثقافي واللغوي عن روسيا، وقد ساعدهم على ذلك اختلال موازين القوة لصالح أمريكا في ظل الضعف الذي اكتنف روسيا طوال حقبة التسعينيات وتدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وعدم الاستقرار السياسي بها.. ولكن مع تولي قيادة روسية جديدة لروسيا بقيادة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، استطاعت روسيا أن تنهض من كبوتها واستعادت عافيتها، وبدأت في محاولة استرداد أوكرانيا واستقطابها إلى وضع يتسق وكونها امتداد طبيعيا لروسيا.

كان واضحا للقيادة الروسية منذ الثورة البرتقالية في عام ٢٠٠٤ التي أيدتها واشنطن، أن الولايات المتحدة الأمريكية تزاحم النفوذ الروسي وتسعى إلى تقويضه في أوكرانيا، من خلال ضمها الى المنظومة الأمنية لحلف شمال الأطلسي من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت روسيا تخشى الشراكة الأوكرانية الأوربية وذلك لأسباب اقتصادية واستراتيجية عدة منها ان برنامج الشراكة الشرقية بين الاتحاد الأوروبي والجمهوريات السوفيتية الست السابقة (أوكرانيا وبيلاروسيا وأرمنيا وأذربيجان وجورجيا ومولدوفا) هو محاولة لعزل هذه الجمهوريات عن موسكو، وبالتالي إجهاض

حلم بوتين الطموح الذي يهدف إلى ضم الجمهوريات السوفيتية السابقة في إطار اتحاد اقتصادي على غرار الاتحاد الأوربي من دون المساس بسيادة هذه الدول (٢٧).

شهدت العلاقات بين كييف وموسكو تدهورا كبيرا بعد فوز بوروشينكو الموالي للغرب في الانتخابات الرئاسية المبكرة يوم ٢٥ مايس ٢٠١٤، ليصل التوتر بين البلدين إلى درجة المواجهة المسلحة غير المباشرة في منطقة دونباس، واعتبرت العقيدة العسكرية الأوكرانية الجديدة "الاحتلال المؤقت للقرم والعدوان في بعض مناطق مقاطعتي دونيتسك ولوغانسك، بمثابة التهديد الأكبر لأمن البلاد".

رفضت روسيا الاعتراف بالحكومة الجديدة في كييف واعتبرت ما حدث انقلابا غير شرعي، وانتقدت روسيا الحكومة الجديدة واعتبرتها مسؤولة عن تنامي التطرف والفاشية في أوكرانيا، وأن حزب (اوكرانيا وطننا) الممثل في الحكومة الأوكرانية، يحمل صبغة قومية صارخة وأفكارا عنصرية معادية للأجانب، فهو يدعو لحظر استخدام اللغة الروسية في أوكرانيا وحرمان الروس من حق أصيل لهم (٢٨).

ثانيا- الأسباب الاقتصادية

كان واضحا للقيادة الروسية منذ الثورة البرتقالية في عام ٢٠٠٤ التي أيدتها واشنطن، أن الولايات المتحدة الأمريكية تزاحم النفوذ الروسي وتسعى إلى تقويضه في أوكرانيا، من خلال ضمها الى المنظومة الأمنية لحلف شمال الأطلسي من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت روسيا تخشى الشراكة الأوكرانية الأوربية وذلك لأسباب اقتصادية واستراتيجية عدة منها ان برنامج الشراكة الشرقية بين الاتحاد الأوروبي والجمهوريات السوفيتية الست السابقة (أوكرانيا وبيلاروسيا وأرمنيا وأذربيجان وجورجيا ومولدوفا) هو محاولة لعزل هذه الجمهوريات عن موسكو، وبالتالي إجهاض حلم بوتين الطموح الذي يهدف إلى ضم الجمهوريات السوفيتية السابقة في إطار اتحاد اقتصادي على غرار الاتحاد الأوربي من دون المساس بسيادة هذه الدول (٢٩).

لقد أثارت روسيا بعض المخاوف بسبب التقارب الأوربي الأوكراني الذي من الممكن أن يؤثر على العلاقات بينها وبين أوكرانيا، بالإضافة إلى أن" اتفاقية الشراكة الأوربية" سوف تؤثر على الأسواق الروسية سلبا، وذلك بسبب الاتفاقية التي تجمع روسيا وأوكرانيا التي تعمل على "إزالة الرسوم الكمركية" للبضائع في أطار "سياسة التجارة الحرة المعتمدة" بين البلدين،مما يعمل على إغراق الأسواق الروسية بالبضائع الأوربية بدون دفع ثمن للمرور الجمركي، في حالة توقيع هذه الشراكة مع الاتحاد الأوروبي.... مما يؤدى إلى انخفاض أسعار السلع المصدرة لروسيا بسبب منافستها لـــ"البضائع الروسية المحلية".. لذا قامت روسيا برفض هذا الأمر لتأثيره مستقبلا على

الزراعة الروسية بالإضافة إلى صناعة السيارات.. وبالتالي سوف يؤدي الى انكماش النفوذ الروسي والتأثير على مصالحها الحيوية في المنطقة، لذلك سعت روسيا إلى ضم أوكرانيا معها إلى "الاتحاد الكمركي" ليكون بديلا لها عن الاتحاد الأوربي الذي يضم (بيلاروسيا وكازخستان)، والذي سوف يكون نواة لـــ" الاتحاد الأوراسى" ككيان يوازى "الاتحاد الأوربي" في المنطقة(٢٩).

وتعد روسيا المصدر الرئيسي لتزويد"أوكرانيا" بمصادر الطاقة فهي من أكبر مستهلكي الطاقة الروسية بأوروبا، لأن انتاجها لا يتجاوز الا نحو ١٦% من الغاز الطبيعي، ويمر ما يزيد على ٨٠% من صادرات روسيا من الغاز الطبيعي إلى أوروبا عبر الأنابيب الممتدة في أوكرانيا، الذي يمثل ما يزيد على نحو ٢٠ % من إجمالي حجم الاستهلاك الأوروبي للغاز الطبيعي (٣٠)، بالإضافة إلى السوق التجارية الكبيرة بين البلدين المتمثلة في استيراد روسيا من أوكرانيا قطع الغيار للمنتجات الحربية، ومكونات منظومة "غلوناس" الروسية للملاحة الفضائية وغيرها.

دخلت روسيا وأوكرانيا في عامي ٢٠١٥- ٢٠١٦م حرباً اقتصادية مفتوحة، اسفرت عن وقف روسيا العمل باتفاقية التجارة الحرة وتطبيق حظر استيراد المواد الغذائية من أوكرانيا، وردت هذه الأخيرة بالمثل، بتوقفها عن شراء الغاز الروسي، بسبب ارتفاع اسعاره مقارنة بالإمدادات من الاتحاد الأوروبي، مع استمرار مروره عبر أراضيها إلى بلدان أوروبا. وتطور الخلاف بشأن سداد أوكرانيا ديونها البالغة ثلاثة مليارات دولار الى مرحلة التقاضي لدى المحاكم الدولية.

وفي الوقت الذي يشدد الخطاب الإعلامي والرسمي في روسيا على المشكلات الاقتصادية التي تمر بها أوكرانيا، واستمرار انخفاض قيمة عملتها (الهريفنا)، وزيادة معدلات التضخم وتراجع الإنتاج الصناعي، وعدم توجيه الاتحاد الأوروبي دعوة إلى أوكرانيا للانضمام إليه، تعتبر السلطات الأوكرانية أنها قطعت شوطاً كبيراً على طريق التكامل مع أوروبا، وتمكنت أخيراً من الحدّ من تبعيتها لروسيا في مجال الطاقة.

ثالثا- ازمة شبه جزيرة القرم والصراع في شرق أوكرانيا

تشكل شبه جزيرة القرم لروسيا بوابة استراتيجية مهمة للانطلاق الى المياه الدافئة في البحر الابيض المتوسط وتؤمن الاتصال بين القاعدة العسكرية الروسية في الجزيرة والقاعدة الروسية في ميناء طرطوس في سوريا عبر عدد من المضايق.

كانت "شبه جزيرة القرم" جزءاً من "الإمبراطورية الروسية" ثم بعد ذلك جزء من "الاتحاد السوفيتي".. فقد ضمتها "روسيا" رسمياً إليها في العام ١٧٨٣، وفي العام ١٩١٧ أعلن التتار عن جمهورية القرم المستقلة برئاسة "نعمان حيجي خان" بعد أن استغلوا ثورة أكتوبر الروسية للإطاحة بحكم القياصرة، إلا أن الشيوعيين وضعوا حداً لها، من خلال اعلان حكومة الاتحاد السوفيتي عن

جمهورية القرم ذات الحكم الذاتي عام ١٩٢٠م.. وخلال الحرب العالمية الثانية نفى "ستالين""التتار" من شبه جزيرة القرم إلى سيبيريا بسبب تحالفهم مع "النازيين"، الا انهم عادوا بعد انهيار "الاتحاد السوفيتي" إلى القرم في مطلع التسعينات، علما ان نسبة التتار ١٢% من اجمالي نسبة سكان القرم (٣١).

هنا لا يمكن تجاهل الأثر السياسي للزعيم السوفييتي نيكيتا خروتشوف ذو الأصول الأوكرانية ، حيث قام بضم شبه جزيرة القرم لأوكرانيا خلال العام ١٩٥٤، وأُسس قاعدة عسكرية بحرية على ميناء سيفاستوبول المطلّ على البحر الأسود (٣٢).. وعلى الرغم من الجدل القانوني بشأن ضمّ القرم لأوكرانيا إلا أنّ كييف وافقت بأن يتمتع هذا الإقليم بحكم ذاتي في أثناء تسعينيات القرن الماضي، آخذة بالاعتبار أن الإمبراطورة كاترينا العظمى قد أعلنت القرم جزءاً لا يتجزّأ من روسيا وللأبد خلال العام ١٧٨٣، لكنّ العقيدة الشيوعية ألغت في أوج سلطتها الفروق الشعبية والقومية ما بين دول الاتحاد مما سمح بالتغاضي عن وضعية القرم، باعتبار كامل أوكرانيا جزءاً من الاتحاد السوفييتي.

ولكن بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفييتي في ١٩٩١/١٢/٢٦، أصبحت شبه جزيرة القرم جزءا من أوكرانيا المستقلة، مما أثار قلق روسيا بشأنها بسبب أهميتها البالغة لها، فالقرم ميناء إستراتيجي هام لروسيا ولمصالحها الحيوية العسكرية.. فالأسطول الروسي في قاعدة سيفاستوبول يضم ٣٠٠ سفينة حربية ويعمل في القاعدة ٢٦ الف عسكري روسي (٣٣).

لذلك عملت روسيا على التدخل فورا من أجل حماية "قواعدها الإستراتيجية" وسكانها، وذلك لوجود اكثر من ٦٠ %من سكانها يعتبرون أنفسهم من الروس، وأن روسيا بلدهم الأم، وهذا بدوره يعمل على زيادة الشعور الروسي بالمسؤولية إزاء القرم، فليس الرابط بينهم المصالح المشتركة أو رغبة زيادة النفوذ فحسب، بل التجانس الاجتماعي أيضا.

كما ان للجزيرة اهمية تاريخية تتمثل باحتضانها الاجتماع الدولي لرؤساء الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ وهي امريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي في احد مدنها يالطا.. اما من الناحية الاقتصادية فان جزيرة القرم التي تبلغ مساحتها ٢٦ ألف كم٢ تتمتع بثروات طبيعية مهمة كالبترول، والفحم الحجري، والغاز الطبيعي، والنحاس، والحديد، والمنغنيز، والرصاص، وتتمتع بثروة زراعية متنوعة مثل: القمح، والفواكه، والشوفان والشعير والبنجر السكري، وتنتج كميات كبيرة من الفاكهة والخضر (٣٤). ويتدفق فيها كميات كبيرة من المياه المعدنية مما يؤهلها لبناء اقتصاد متنوع و متعدد المصادر.

وضعت روسيا في الاعتبار عند استعادة شبه جزيرة القرم بأحتلالها عسكريا، القرار السابق عام ٢٠٠٩م الذي أصدره الرئيس الأوكراني في ذلك الوقت الموالي للغرب "بيروشينكو" المتضمن الزام روسيا بإخلاء قاعدتها البحرية في "سباستوبول" بحلول عام ٢٠١٧، ولكن مع تغير الأوضاع بمجيء الرئيس "فيكتور يانوكوفيتش" عام ٢٠١٠ قرر تمديد مدة بقاء الأسطول الروسي في الميناء حتى عام ٢٠٤٢م (٣٥)، لذلك لم تنتظر روسيا الخيارات الدبلوماسية والسياسية بعد نجاح الثورة البرتقالية الثانية، بل سارعت بالتدخل العسكري المباشر في "شبه جزيرة القرم"، مستغلة في ذلك الترحيب بها من قبل " أغلبية سكان القرم.

الجدير بالذكر انه الى جانب سكان القرم الداعمين للأنضمام الى روسيا، هنالك سكان شرق وجنوب أوكرانيا ذوو الأصل الروسى، الذين عانوا من شن حملات اضطهاد ضدهم من قبل قوى المعارضة والمواطنين الموالين للغرب.. فقد تم حشد الرأى العام ضدهم، وقاموا بمضايقتهم واستخدام الشعارات المعادية لهم في ميادين الاحتجاج الأوكرانية، حتى وصل الأمر إلى رفع شعارات باللغة الروسية ضدهم، مما اثار قلق هؤلاء المواطنين خصوصا في ظل الحكومة الجديدة المعارضة لروسيا وعزل الرئيس يانكوفيتش، فطالبوا بالأنضمام الى روسيا، ودخلوا في صراع مع الحكومة الجديدة بعد تطور الأوضاع على المستوى الرسمي للدولة، حيث تم إلغاء "اللغة الروسية" كلغة رسمية من القطاعات المحلية التي يسكنها مواطنين روسيي الأصل، بعد أن كانت اللغة الروسية لغة رسمية لـــ ١٣ مقاطعة من إجمالي ٢٧ مقاطعة في أوكرانيا(٣٦).. الا ان تفاقم الأوضاع والأضطرابات ارغم البرلمان على التخلي عن الأخلاء، لكن هذا لم يطمئن المواطنين الروسيي الأصل.

كما وجد السكان الروس في جنوب وشرق اوكرانيا وعددهم يتجاوز العشرة ملايين مواطن انفسهم مظلومين بعد اغلاق المدارس الروسية والجمعيات الثقافية والاجتماعية الروسية، وتعرض كنائسهم التابعة الى بطريركية موسكو الى هجمات شنها القوميون بهدف السيطرة عليها، واعتدوا على القسس والرهبان وطردوهم من المعابد والاديرة.. زد على ذلك ان الكنيسة الاوكرانية في الغرب اعلنت انفصالها عن بطريركية موسكو واصبحت تحت رعاية بابا روما رئيس الكنيسة الكاثوليكية (٣٧).

مع تصاعد وتيرة الازمة نشبت حرب دموية في شرق وجنوب اوكرانيا التي يقطنها الغالبية الروسية والمعقل الرئيس لحزب الاقاليم ادت الى تدمير البنية التحتية واغلاق المؤسسات الصناعية في منطقة الدونباس، الى جانب انخفاض الإنتاج الصناعي في محافظتي دونيتسك ولوغانسك بنسبة ٨٥%، خاصة وانهما تشكلان ٢٠% من الإنتاج الصناعي الأوكراني (٣٨).

الجدير بالذكر انه من بين ١٤٠ منجماً للفحم في الدونباس يوجد ٩٣ منجماً في الأراضي الخاضعة لسيطرة المسلحين و٦٩ منجماً تم تعليق عملياتها، وأكثر من نصف القوى العاملة في DPR (جمهورية دونيتسك الشعبية) وLPR (جمهورية لوغانسك الشعبية)، المعلنتين من طرف واحد، عاطلة عن العمل ولا يوجد أي مصدر آخر للدخل لديها، وقد أعلنت ٤٠٠٠٠ شركة صغيرة عن إفلاسها.. وقد انخفض إنتاج الغذاء بنسبة ٢٥-٣٠%. وتم تدمير آلاف الكيلومترات من الطرق وأكثر من ٣٠ جسراً وما يقارب ٤,٥٨٥ مبناً سكنياً.. كما تضررت ٥٨ محطة حرارية (TES). بالإضافة إلى أكثر من مائة قرية قطعت عنها جميع مصادر الطاقة الكهربائية. وقد أظهرت النتائج الأولية أن اقتصاد أوكرانيا تقلص بنسبة ١٧,٦% في الربع الأول من عام ٢٠١٥ مقارنة بالفترة المطابقة لعام ٢٠١٤. وكان هذا الانخفاض أسوأ مما كان متوقعاً، وقد نجم عن الصراع العسكري في الدونباس الذي أدخل أوكرانيا في دوامة الانحطاط الاقتصادي.

وقد أثرت تلك الفوضى الإقتصادية في أوكرانيا على روسيا، حيث قدر المصرف الدولي تباطؤاً في نمو الاقتصاد الروسي بنسبة ٠,٥%، أي بنسبة أقل من ٢% مما كان عليه قبل ضم شبه جزيرة القرم إليها.. وعلى المستوى القاري تم خفض النمو الأوروبي بنحو٤% بسبب قطع الروابط التجارية مع أوكرانيا وروسيا (٣٩].

وجاء الرد الروسي على الثورة البرتقالية الثانية في أوكرانيا عام ٢٠١٤ بحصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على تفويض من قبل مجلس الشيوخ في البرلمان الروسي لاستخدام القوات العسكرية الروسية المتواجدة في سيفاستوبول لفرض السيطرة المطلقة على شبه جزيرة القرم.. واعلان ضمها رسميا الى الأراضي الروسية في يوم ٢٧ كانون الثاني ٢٠١٤، عبر استفتاء شعبي تم في يوم ١٨ اذار/ ٢٠١٤م (٤٠)، وذلك لان غالبية سكانها من أصول روسية.. الأمر الذي سبب خسائر اقتصادية مباشرة للأقتصاد الأوكراني الذي فقد ٤٠% من الاحتياطي الكلي للغاز في اراضيها، فقد قدرت وزارة الطاقة والفحم في شهر حزيران عام ٢٠١٤ خسائر قطاع الطاقة الأوكراني نتيجة احتلال شبه جزيرة القرم من قبل روسيا بـــنحو (٣٠٠) مليار دولار أمريكي، فضلا عن ان تأميم الشركات الأوكرانية الخاصة التي تقع في شبه جزيرة القرم بموجب القانون الروسي ادى الى خسائر اقتصادية مباشرة ايضا لهذه الشركات، ومنها على سبيل المثال Chornomornaftogas وUkrtransgas وبعض المصانع الكيماوية الرئيسية والموانئ، وأكثر من ١٣٠ منتجعا بما في ذلك الأراضي والعقارات (٤١).

كما أن فقدان موانئ شبه جزيرة القرم آنذاك سبب خسائر على المدى القصير لكبار عملاء ومصدري الحبوب، الأمر الذي أدى الى تعطيل وسائل النقل في شبه الجزيرة وتوقف حركة الشحن للإنتقال من موانئ القرم إلى محطات في ميكولايف وخيرسون وبحر آزوف.

المبحث الثاني– الموقف الغربي من التدخل الروسي

تعد العلاقات الأمريكية الروسية من العلاقات الهامة على الساحة الدولية، وذلك لما تمثله من ابعاد تاريخية واستراتيجية غير هادئة تعتمد على الشد والجذب فيما بينها، وقد هدأت الصراعات بعض الشيء فى مطلع "القرن ٢١"، ولكن عادت للمواجهة بسبب "الأزمة الأوكرانية"، مع تدخل حليف جديد فى هذه الأزمة الا وهو "الأتحاد الأوربى" الذي ينظر الى أوكرانيا بأعتبارها تمثل له دولة إستراتيجية هامة بسبب موقعها الجغرافي الذي يربط بين قارتي آسيا واوربا، بالإضافة إلى العمق الإستراتيجي الذي سوف يحصل عليه الاتحاد نتيجة كسب دولة تابعة للنفوذ الروسي، مما يؤدى إلى قلة تأثير أو هيمنة روسيا على هذه المنطقة المسمية بـــ"الفضاء السوفيتي السابق"(٤٢).

الأزمة الاوكرانية تشكل هدفا امريكيا من اجل تحجيم روسيا التي تقطع الطريق على مصالحها وتشكل ندا لها، يعيق تفردها بزعامة العالم.. وبالتالي فهي السلاح المتبقي للضغط على روسيا ، والأكثر فاعلية في الانقضاض على روسيا.

مع التدخل الامريكي ووجود موالين داخل اوكرانيا لسياسات امريكا طمعا بوعود قدمتها الاخيرة متبوعة بالدول الاوروبية التي اتخذت من السياسة الامريكية نهجا لها، اتخذ الصراع داخل اوكرانيا شكلا من اشكال الحرب الذي يذكرنا بالحرب الباردة أيام الاتحاد السوفيتي السابق.. قابله اصرار روسيا على عدم المناورة في أي أمر يهدد أمنها ومصالحها الاستراتيجية وعدم قبولها بالرضوخ للاستهداف الامريكي الغربي عبر اراضي اوكرانيا، لأن التدخل في المسألة الاوكرانية تهديد واستهداف للمصالح والامن الروسي مباشرة.

ادى احتدام الازمة الاوكرانية، هذا الوضع الخطير أدى الى استنفار الدبلوماسية الألمانية لمنع انزلاق الأوضاع الى مواجهة عسكرية (٤٣)، وإبقاء أبواب التسوية السياسية مفتوحة، وقد بذلت جهودا كبيرة لأقناع الرئيس الامريكي اوباما بقبول هذا التوجه وتجنيب اوروبا خسائر كبيرة قد تحدثها اي مواجهة مع بلد قوي كروسيا.... هذا الاجراء خفف من مستوى الاستنفار والتوتر الحاصل، ووجه الامور من جديد نحو الطاولة الدبلوماسية عبر اطلاق العملية السياسية.

بالفعل تمكن اطراف الصراع برعاية فرنسية – ألمانية من التوصل الى "اتفاق مينسك الثاني" في "مدينة مينسك" عاصمة روسيا البيضاء بتاريخ ١٢ شباط ٢٠١٥م، متضمنا "١٣" بندا منها يؤكد

وقف اطلاق النار بين الطرفين وسحب الأسلحة الثقيلة إلى مسافات بعيدة عن مناطق القتال، اثر خرق بنود الأتفاقية الأولى التي عقدت في نفس المكان بتاريخ ٢٠ ايلول ٢٠١٤م، وبحضور نفس الأطراف، التي تم تحديد (٣٠) كم منطقة آمنة، وفي اتفاقية مينسك الثانية تم تحديد طبيعة الحكم في شرق وجنوب اوكرانيا ومنحهما حكما ذاتيا (٤٤).. الا ان امريكا بقيت تتحفظ على هذا التوجه، لأنها فهمت الموقف الاوروبي تراجعا امام الضغوط الروسية التي لوحت مؤخرا باستخدام سلاح الغاز الذي يغطي اغلب الاحتياجات الاوروبية لهذه المادة، فضلا عن قطع الغاز عن اوكرانيا، لذا قابلت التقارب الروسي الاوكراني الاوروبي بالتشكيك حول النوايا الروسية والتسويق لاستبعاد الالتزام بالإتفاق من قبل روسيا.

الجدير بالذكر بقاء الاختلاف في التوجه الامريكي الاوروبي جذريا لا يقبل الوسطية، ينطلق من مستوى التهديد للمصالح الذي تشكله روسيا على اوروبا، وسط احساس اوروبي بأن التوجه الامريكي لا يراعي هذا التهديد، ويذهب بالصراع الى مرحلة من الاصطدام العسكري الهادف الى تدمير روسيا واوكرانيا ومعها اوروبا التي يعتبر تضررها من اي صراع مماثل مع روسيا كبيرا جدا على امنها واقتصادها.. فاثارها السلبية والانعكاسات على اوروبا خطيرة جدا تمس بالأمن والاقتصاد الاوروبي بالصميم، ولهذا تتحسب الدول الاوروبية من أي تدهور في الصراع يخرج الامور عن السيطرة ويذهب بالمواجهة الى حرب، فتلجأ اوروبا الى تفعيل العملية السياسية لانهاء الازمة، وهذا التوجه الاوروبي يقابله اصرار امريكي بتحويل اوكرانيا الى نموذج سورية، لاشعال حرب في الخاصرة الروسية تمهد لاستنزاف روسيا عبر حدودها الجنوبية، وتفتح سيناريو امريكي يستهدف جر روسيا نحو حرب قاسية مع اوكرانيا والاستفادة من هذه الحرب لدراسة امكانية توجيه ضربة عسكرية لروسيا عبر حلف الناتو (٤٥).

اخيرا يمكن القول انه رغم أهمية أوكرانيا للولايات المتحدة الأمريكية، فهي لا تنظر لها على أنها قضية امن قومي دائما، وإنما قضية للضغط على روسيا لاقناعها باتخاذ قرارات سياسية تجاه نطاق واسع من القضايا الجيو سياسية في الشرق الأوسط أو الأقصى او حتى ترهيب الأتحاد الأوربي بالقدرة التدميرية الروسية كي ترتمي اوربا في احضان الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي.

أما روسيا فإنها تعد اوكرانيا جزءا استراتيجيا مهما في مجالها الحيوي لانها تشكل منطقة عازلة بين روسيا وأوروبا، وبصورة خاصة مجموعة دول أوروبا الشرقية السابقة، التي انضمت إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) من جهة، وتعد الممر الرئيسي لتمرير الغاز الروسي إلى أوروبا،

ومنفذها إلى البحر الأسود التي تضم الأسطول الروسي البحري في قاعدة سيفاستوبول من جهة اخرى.

كما توجد مصالح اقتصادية متبادلة لا يمكن التفريط بها، اذ تمثل روسيا المورد الرئيس لأوكرانيا بالطاقة، خاصة الطاقة النووية لتشغيل صناعاتها ومحطاتها الكهربائية الى جانب النشاط التجاري بينهما، والذي يعد من المصادر الأساسية في الاقتصاد الأوكراني.

لذا وفقا لهذه المعادلة فان خيارات روسيا كان قد أوضحها الرئيس فلاديمير بوتين بقوله في مؤتمر قمة الدول الثمانية عام(٢٠٠٨م) للرئيس الأمريكي بوش الابن "عليك ان تفهم يا جورج أن أوكرانيا ليست دولة، فجزء من إقليمها يقع في أوروبا الشرقية والجزء الأكبر منها ملك لنا".. وهو نفس الكلام الذي أعقب التوقيع على اتفاقية ضم القرم للاتحاد الروسي حيث اشار الى إن شبه جزيرة القرم جزءا لا يتجزأ من روسيا وتم منحها لأوكرانيا في عام (١٩٥٤م) (٤٦).

لذا تعد الضربة الإستباقية الروسية باستعادة شبه جزيرة القرم والأجزاء الشرقية والجنوبية من أوكرانيا، رسالة روسية للغرب والولايات المتحدة الأمريكية، بأن جوارها القريب خطوط حمراء لا يمكن التساهل أو التفاوض بشأنها، لأنها جزء لا يتجزء من مجالها الحيوي.

الخاتمة

تعد الأزمة الأوكرانية واحدة من أبرز الأزمات التي يتداخل فيها البعد الخارجي والداخلي بشكل مكثف، حيث اقترن الاستقطاب السياسي الداخلي مع الاستقطاب الدولي بين روسيا من ناحية والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى.. وكان للصراع الدولي وتدخلات القوى الكبرى دور كبير في تأجيج الأزمة الأوكرانية، حيث عكست الأزمة التنافس الدولي المحتدم على مناطق النفوذ، وتؤكد أنه رغم زوال التناقض الأيديولوجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بتفكك الاتحاد السوفيتي ووجود مصالح وتفاهمات مشتركة بين البلدين، إلا أن التناقض الاستراتيجي والمصلحي مازال قائما... ومن اهم الأستنتاجات التي توصلنا اليها خلال البحث هي:-

اولا- ان الانقسام بين الشعب الاوكراني كان وما زال سياسيا ثقافيا اقتصاديا، فهو بلد متعدد الإثنيات والأعراق والأديان واللغات، وهو منقسم بين شرق يتكلم سكانه الروسية ويرون في روسيا بلدهم الأم، وبين غرب يتكلم اللغة الأوكرانية ويدعو إلى الانضمام لأوروبا.

ثانيا- ترى روسيا ان اي زعزعة للأمن الاوكراني هو تهديد مباشر لأمنها القومي، وان اي دعم خارجي للمعارضة الاوكرانية يعد جزءًا من المشروع الامريكي الهادف الى محاصرة روسيا.

رابعا- كسبت روسيا مواجهتها الأولى في عاصمة أوكرانيا كييف المسنودة من الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي باسترجاعها شبه جزيرة القرم.. مما سبب خسائر اقتصادية مباشرة للأقتصاد الأوكراني الذي فقد ٤٠% من الاحتياطي الكلي للغاز في اراضي القرم.

خامسا- تعد الأزمة الأوكرانية تمثيل مصغر لصراع القوى الكبرى على توسيع نفوذها بسبب موقعها الجغرافي الذي يربط بين قارتي آسيا واوربا.. حيث تشكل هدفا امريكيا من اجل تحجيم روسيا التي تعيق تفردها بزعامة العالم.

اخيرا يمكن القول أن أوكرانيا، بلد كسائر البلدان يمكن أن يبدو وحدة واحدة في أوقات الرخاء والاستقرار، ومتشظياً في اختلافات لا نهائية في أوقات الشدة والإضطراب؛ وان الحديث عن الأزمة الأوكرانية الأخيرة هو إشارة إلى صراع تعيشه أوكرانيا منذ أكثر من عقد، لكنه لم ينته بعد، تكسب فيه اطراف جولات وتخسر أخرى، دون أن يستطيع أي طرف منها حسم الأمور لصالحه.

اليوم السيناريوهات كافّة مفتوحة في الملف الأوكراني، لكن هناك حقيقة لا يمكن تجاهلها تتمثّل بحضور روسي قويّ في شمال أوكرانيا مدعوم من قرابة ١٠ ملايين مواطن. .. كما يوجد حضور روسي في شرق البلاد التي تتمركز فيها القاعدة الصناعيّة الأساسيّة لأوكرانيا التي تمثل القسم الأكبر من إجماليّ الناتج القومي لهذه الدولة.. لذا يتوجب على أوكرانيا أن تتعامل مع هذا الواقع بحذر، لتفادي الوقوع في أزمة اقتصادية غير مسبوقة في تاريخها المعاصر.

الهوامش

* استاذ مساعد في كلية العلوم السياسية/ قسم العلاقات الأقتصادية الدولية/ جامعة النهرين.

١- أحمد دياب، أوكرانيا... الهوية الممزّقة بين الغرب وروسيا، صحيفة الحياة، ٢٠ - ١٢ - ٢٠١٣، ص ٣.

٢- أنيس ايوب، أزمة أوكرانيا.. عودة إلى الحرب الباردة، مجلة آفاق المستقبل، العدد (٢٣)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠١٤، ص ٢٤.

٣- أحمد محمد أبو زيد، الأزمة الأوكرانية والحرب الباردة الجديدة ..في فهم الواقع الدولي، معهد العربية للدراسات، ٢٠١٤، صـــ١٠.

٤- ايوب، " المصدر السابق، ص٢٦

٥- ريتشارد غالين، ما الدوافع وراء التدخل الروسي في اوكرانيا؟؟، وكالة بي بي سي نيوز_ موسكو ١٤ آذار ٢٠١٤م.

٦- المصدر نفسه.

- كان يانوكوفيتش حاكم أوبلاست (مقاطعة) دونتسك من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٢. خدم يانوكوفيتش رئيسا لوزراء أوكرانيا مرتين، الأولى من ١٢ نوفمبر ٢٠٠٢ إلى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤ في عهد الرئيس ليونيد كوتشما. والمرة الثانية من ٤ أغسطس ٢٠٠٦ إلى ١٨ ديسمبر ٢٠٠٧ في عهد فيكتور يوشتشينكو، الذي كان خصمه الرئيسي

في انتخابات ٢٠٠٤ الرئاسية، التي أعلن فيها مترشحًا للرئاسة. واجه مظاهرات حاشدة طالبت بعزله نفذتها المعارضة بعد تعليق حكومته توقيع اتفاقية للتجارة الحرة والشراكة مع الاتحاد الأوروبي.

٧- نورهان الشيخ، الأبعاد الدولية والإقليمية للأزمة الأوكرانية، المجلس المصري للشئون الخارجية، ٢٠١٤ ص٨

٨- عبد الفتاح جابر، مدخل إلى تاريخ الإمبراطورية الروسية ، دار المجدلاوي، الطبعة الأولى ٢٠١٠، عمان- الأردن. ص٢٥

٩- Subtelny, Orest (2013). Ukraine: Economic History. University of Toronto Press. ISBN p-344.

١٠-د. نوال فهمي، مستقبل الحياة السياسية في اوكرانيا، مجلة السياسة الدولية،عدد ١٢٥، نوفمبر ٢٠١٤ . ص١١٨

١١-د. حبيب عبد القادر، التداعيات الأقتصادية الأوكرانية على روسيا، مجلة الشرق، الجزائر،العدد ٢٩، ٢٠١٣م. ص ٣٦

١٢-الشيخ، " المصدر السابق، ص١٢

١٣-جابر، المصدر السابق، ص٨٧

١٤-غالين، المصدر السابق.

١٥-تيسير حسن، ما بعد الأنهيار، صحيفة السفير٢٦ آذار٢٠١٥، بيروت ص ٣.

١٦-المصدر نفسه، ص ١٧

١٧-"ليونيد ماكاروفيتش كرافتشوك هو أول رئيس لأوكرانيا بعد استقلالها عن الإتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م، كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، حاصل على وسام ثورة أكتوبر ووسام الراية الحمراء من حزب العمال السوفيتي لنشاطه السياسي المتميز في المجلس الأعلى السوفيتي". للمزيد انظر: ويكيبديا/الموسوعة الحرة.

١٨-فهمي، المصدر السابق، ص١٢١

١٩-ايوب، المصدر السابق، ص٥٥

٢٠-تيسير حسن، المصدر السابق، ص٧

٢١-"الثورة البرتقالية تعود من جديد". صحيفة الراية القطرية، العدد ١١١ في ٥ ديسمبر ٢٠١٤.

٢٢-د. زينة احمد، الهيمنة الروسية على الأقتصاد الأوكراني، مجلة دراسات عالمية، مركزالامارات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، العدد ٦٢، ٢٠١٥م. ص ٣٣

٢٣-د. حبيب عبد القادر، التداعيات الأقتصادية الأوكرانية على روسيا، مصدر سيق ذكره.. ص٣٦-٣٧

٢٤-احمد، المصدر السابق، ص٣٥

٢٥-عبدالله جسام، الأزمة الأوكرانية صراع أيديولوجي سلاحه الاقتصاد، مجلة المجلة، لندن،العدد ٩٧ لسنة ٢٠١٥..ص٥٤

٢٦-محمود المنياوي، أوكرانيا.. وحدود المواجهة الأمريكية الروسية، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤، ص٤٧

٢٧-احمد، المصدر السابق، ص٦٢

٢٨-خليل المنشاوي، مستقبل العلاقات الأوروبية الروسية ، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٥، ص٢٨.

٢٩-حسن، المصدر السابق، ص١٢

٣٠-جسام، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧

٣١-عبد القادر، المصدر السايق ، ص ٢٩

٣٢-منشاوي، المصدر السابق، ص٧٧

٣٣-المصدر نفسه، ص٨٢

٣٤-بشير نافع، الأزمة الأوكرانية تفجر الصراع على أوروبا من جديد، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤، ص٨.

٣٥-أسامة أبو أرشيد، الأزمة الأوكرانية أمريكياً – إعادة بعث الحرب الباردة؟، سلسلة تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ٢٠١٤، ص ٤٠.

٣٦-"الدور الأوربي في اتفاقيات مينسك"،يا". سكاي نيوز العربية، ١٥ ديسمبر ٢٠١١.

٣٧-جسام، المصدر السابق، ص٦١ .

٣٨-ليليا شيقتسوفا، الأزمة الأوكرانية في ظل الأمن القومي الروسي ، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش،م،ل، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ بيروت- لبنان، ص٣٦.

٣٩-انظر:

Lawrence freedman," Ukraine and the art of limited war", the international institute for strategic studies, survival, vol.56, no.6, December 2014-January 2015, available at: http://www.iiss.org/terms-and-conditions accessed in 27 November 2015

٤٠- للمزيد انظر:

Ukraine: running out of time", international crisis group, Europe report " N231, 4 March 2014. Available at: http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/europe/ukraine/231-Ukraine-running-out-of-time.pdf May 2014 accessed in: 25 November 2015

٤١- انظر:

Ondrej Ditrych, "Bracing for Cold Peace.US-Russia Relations after Ukraine," TheInternational Spectator, Vol49, No.4, December2014, available at http://www.academia.edu/10451867/Bracing_for_Cold_Peace_U.S.-

Russia_Relations_after_Ukraine, accessed in: 10 January 2016

٤٢- العلاقات الروسية الامريكية ، صراع الكبار ،روسيا اليوم ،تاريخ النشر ١٢ مايو٢٠١٦:

http://www.arabic.rt.com

٤٣- بثينة اشتيوي، روسيا وامريكا: من سيحسم الصراع؟ ، تاريخ النشر ١٢ ابريل ٢٠١٥م:

http://www,sasapost,com/american_russian_relations

٤٤- المنشاوي ، المصدر السابق، ص٥٥

٤٥- أحمد الخطواني ، تأثير أحداث أوكرانيا وسوريا على العلاقات الأمريكية الروسية ، جريدة الراية ،تاريخ النشر ٨ اكتوبر٢٠١٥ :

http://www.khelafah.wordpress.com

٤٦- شيقتسوفا، المصدر السابق، ص ٦٥

Abstract

This research sheds highlights on the importance of Ukraine's economic to Russia since it forms the main gate for exports of Russian gas to Europe and is closest to Russia among all the republics of the former Soviet Union.

Ukraine is linked with ties of religion, culture and common history to Russia in addition to the traditional complementary economic relations between the two countries and Ukraine was called a historic "bread basket" of the former Soviet Union, as well as it represents the last strategic fort which isolates Russia from the West and its allies.

Hence, the orange Revolution looks like a dangerous turning point in economic relations between Ukraine and Russia especially when it led to the overthrow of pro-Russian's president Viktor Yanukovych and the promulgation of a law for the release of the Ukrainian opposition leader Yulia Tymoshenko This which marked the exit of the country from the Russian orbit to the European orbits.

This threatens the economy of Ukraine, which ranked fifth among the worst economies in the world during 2015 according to the classification of the International Monetary Fund.